

**دراسة لأسباب اختلاف العقوبات الآشورية
ضد زعماء الشعوب الأخرى وأعدائهم
(منذ القرن الثالث عشر ق.م حتى القرن
السابع ق.م)**

**دكتور عارف أحمد إسماعيل المخلافي
أستاذ تاريخ وحضارة الشرق القديم المساعد
قسم التاريخ-كلية الآداب-جامعة صنعاء**

وفرضيات، بل يجب أن تفهم من خلال دراسة عادات ومعتقدات الشعوب المعنية، وهو ما قاد إلى نتائج مذهلة ...

ABSTRACT

A Study Of The Reasons Behind The Diversity Of Punishment Systems Used By Assyrians Against The Leaders Of Other People And Their Allies During The (13th C. B.C –7th C. B.C)

Aref Ahmed Ismail A-Lmekhlafy

Assisstant Proffesor In Old History Of The Near East

Department Of History

Faculty Of Arts

University Of Sana'a Yemen

The History of Assyrians was marked by cruelty and violence, which dominated over all aspects of the political life, and became a prominent hallmark of that time. This study will present this phenomenon in a different perspective by trying to answer the following questions:

- 1-What are the different ways of punishment that the Assyrians used against other people and their allies?
- 2-What are the reasons behind such diversity in punishment?
- 3-Was it based upon a previous knowledge and awareness of the traditions and customs of those people?
- 4-Was it the fact that the assyrians were aware that humiliating the enemy and treating him vehemently would have a strong impact upon the psychology of the enemy?

We see that answering on these questions should not be based on mere hypotheses and assumptions, but rather by careful understanding of the traditions and customs of the concerned people, which in turn has led to fruitful results.

عُرف تاريخ الآشوريين بظاهرة العنف التي طغت على حياتهم السياسية والحربية، بل صبغتها وصارت من أبرز سماتها. ولذا دار جدل كبير بين العلماء حول ما إذا كان العنف والقسوة من سمات الشخصية الآشورية، أم أن الأمر فرضته ظروف الصراع والتنافس والمتغيرات التي سادت الشرق القديم خلال الألفين الثاني والأول ق.م.

ومن العلماء من أصر على أن الآشوري عنيف بطبعه، ومنهم من رأى أنه مدافع عن مصالحه، وبين العنف والدفاع يقع اهتمام هذه الدراسة، ولكن ليس من زاوية الإصرار أو الإنكار، بل تبتعد عن الخوض في الظاهرة نفسها. فقد فاضت بها الأبحاث والكتب، سواء تلك التي تحدثت عن التاريخ أم التي تحدثت عن الفنون، والكل أجمع على أن العنف والقسوة قد مورسا من قبل الآشوريين بكل تباة وتفاخر، ومن دون أدنى تحفظ كما يظهر من النصوص الآشورية. ولذا ستعنى هذه الدراسة بجانب مختلف تماماً، وتناول جديد للظاهرة ينحصر في الإجابة عن التساؤلات التالية:

- ما مظاهر اختلاف العقوبات الآشورية ضد الشعوب الأخرى وأعدائهم؟

- لماذا اختلفت أساليب هذه العقوبات من شعب إلى آخر؟، ولماذا اتفقت أحياناً؟

- هل بني هذا الاختلاف أو الاتفاق على معلومات ودراية مسبقة بعادات وتقاليد تلك الشعوب؟

- هل أدرك الآشوريون أن إهانة العدو، أو معاملته بعنف يخضع تأثيره على نفسيته ونفسية أتباعه وشعبه لما هو كريم وما هو مهين؟

وقد رأى الباحث أن الإجابة عن هذه التساؤلات لا ينبغي أن تبنى على احتمالات أو فرضيات مسبقة، بل يجب أن تفهم من خلال تتبع ومعرفة ودراسة عادات ومعتقدات الشعوب المعنية، وهو ما قاد إلى نتائج مذهلة، كما سنرى في سياق الدراسة وحيثياتها...

أحد القادة المتأمرين، وسلخ جلده، ووضعه على البوابة الرئيسة لعاصمتهم، كما يذكر أنه أسر بعضهم ثم أطلق سراحهم لكي يعودوا إلى مدنتهم وأقوامهم فيقتصوا عليهم ما حل من خراب ودمار بالأورارتيين وكل من حالفهم^(١٥).

٢- الآراميون^(١٦) في سورية:

يذكر الملك الآشوري "آشور ناصر بال" الثاني، أن بيت حالوبي Bit-Halupe شرق الخابور -رافد الفرات- ثارت ضد حاكمها الموالي للآشوريين، فقام الملك بحملة إلى هناك، وتمكن من إلقاء القبض على مغتصب العرش "أهيا بابا" Ahiababa ومعاونيه، ثم قام بقطع رؤوس معاونيه، ثم سلخ جلودهم ولف بها أثراً أقيم أمام بوابات المدينة. وأما جنثهم المقطوعة الرؤوس فقد وضعت فوق الخوازيق، وعلقت رؤوسهم كتاج فوق الأثر. أما بالنسبة لمغتصب العرش نفسه "أهيا بابا" فقد نقله إلى نينوى، ثم سلخ جلده حياً، وقام بتعليقه (الجلد) بالمسامير على جدران المدينة^(١٧).

وفي نص للملك "سلمنصر" الثالث (٨٥٨-٨٢٤ ق.م) تحدث أنه هاجم الآراميين وحلفاءهم في معركة "قرقر" -شمال غرب حماه- في سنة ٨٥٣/٤ ق.م، وذبح منهم ١٤ ألف مقاتل بحد السيف، وجعل دماءهم تسيل في الوديان، ولم يستوعب السهل الصغير جنثهم المبعثرة، فجعل منها معبراً له على نهر الأورنت Aranatu^(١٨). ويذكر الملك الآشوري "سرجون" أنه خاض معركة في "قرقر" أيضاً في عام ٧٢٠ ق.م ضد حلف تزعمه ملك حماة ضم مدن "أربادا" Arpada (شمالي حلب)، و "سميرا" Simirra (على البحر المتوسط)، و "دمشق" Damascus، و "السامرة" Samaria (شمالي أورشليم)، ولذلك حشد "سرجون" قواته واصطدم مع المتمردين عند "قرقر" "مدينة حماة المفضلة"، وانتهت المعركة بحصار المدينة وأحرقها، وأسر ملك حماة "لو-بيدي" Lau-bidi مع مقاتليه وتم سلخهم^(١٩).

٣- فينيقيا:

عندما ثار "عبدي-ملكوتي" Abdi-milkutti ملك صيدا ضد الآشوريين بإيعاز من مصر، وتحالف مع زعماء من الأناضول: "ساندواري" Sanduarri و "سيزو" Sizu في إقليم قليقيا/كليكييا، قام الملك الآشوري "أسرحدون" (٦٨١-٦٦٩ ق.م) بحملة ضدهم، فأسر ملك صيدا وقطع رأسه وحمله إلى نينوى، كما ساق شعبه إلى آشور "في حشود لا تعد ولا تحصى" (٢٠)، أما "ساندواري" و "سيزو" فقد قطع رأسيهما بعد أن أسرا، وأخذوا إلى العاصمة الآشورية "نينوى"، وهناك حيث الاحتفال بالنصر عُلفت الرؤوس المقطوعة في منابك نبلاتهم وسيق الجميع في موكب النصر والمغنون يعزفون (على القيثارة) (٢١).

٤- عيلام:

أما في عيلام، فقد ثار ملكها "تيومان" Teumman وتحالف مع "دونانو" Dunanu (ملك) "جامبولو" Gambulu (Dunanu (King) of Gambulu)، فقام الملك الآشوري "آشور بانينبال" (٦٦٨-٦٢٦ ق.م) بحملة إلى هناك، وتمكن من قطع رأس ملك "عيلام" وأخذه إلى "نينوى"، كما أسر حليفه "دونانو" ثم أخذوا جميعاً إلى "نينوى" حيث جرى الاحتفال بالنصر في موكب عظيم، وفي هذا الموكب ظهر "دونانو" وهو يحمل على رقبته رأس "تيومان" ملك عيلام (٢٢). ثم اقتيد "دونانو" إلى "أربيل" (أربيل) وقطع لسانه، وسلخ جلده، ثم أحضره على هذه الصورة إلى "نينوى" عريانياً مسلوخاً، وبعد ذلك كله اقتيد إلى مكان الذبح "قذبح كالحمل" (٢٣).

٥- فلسطين:

يذكر نص للملك الآشوري "سرجون" الثاني (٧٢١-٧٠٥ ق.م) أنه عندما تواجهت قواته مع تحالف "هانو" Hanno أمير غزة -الذي سبق له الفرار إلى مصر في عهد "تجلات بلانز" الثالث- و "سيبنة" Sibae المكلف بقيادة القوات المصرية، تمكن

الملكة "شمسي" Samsi ملكة بلاد العرب، وذبح من قومها ١١٠٠ شخص، أما الملكة نفسها فقد ولت الأدبار، وتركت قومها للجوع والظمأ، لكنها بعد ذلك جاءت معذرة، وقدمت له الهدايا^(٢٨). والسبب في مهاجمته لها -كما يذكر في نص آخر- أنها حنثت بقسم الولاء "لشمش" (أي للآشوريين ممثلين في معبودهم)^(٢٩).

أما الملك "سنحاريب" (٧٠٥-٦٨١ ق.م)، فقد عاقب بشدة العرب الذين وقفوا إلى جانب المتمرّد الكلداني "مردوخ-إيلا-إدينا" الثاني (مردوخ بلادان، في العهد القديم) الذي أعلن تمرده في مدينة بابل، حيث أرسلت ملكة بلاد العرب "ياتعة" Iatiae قوات بقيادة شقيقها "بسقانو" Baskanu للوقوف إلى جانب المتمرّد، لكن الملك الآشوري هزمهم، وتمكن من أسر "بسقانو"، وجعله مع جنوده عبيداً له^(٣٠). كما يفهم من نص لابنه وخليفته "أسرحدون" (٦٨١-٦٦٩ ق.م) أن والده "سنحاريب" هاجم "أنوماتو" (دومة الجندل) مرة أخرى وأسر ملكتها "تلخنو/يتلخنو" Teaelhunu مع معبوداتها وأموالها، وأميرة تدعى "تبوعة" Tabua، وأخذهم جميعاً إلى بلاد آشور^(٣١). ويبدو أن هذا الملك قد هاجم "أنوماتو" في إحدى حملاته، إذ يذكر أنه تمكن أثناء ذلك الهجوم من أسر ملكة بلاد العرب التي تدعى "اسكلاتو" Iskallatu^(٣٢).

ومن ناحية أخرى يذكر "أسرحدون" في نص آخر أنه عندما قام شخص عربي يدعى "وهب" Uabu بثورة ضد "يطع" Iatiae الموالي للآشوريين لم يتردد الملك الآشوري من الوقوف إلى جانب "يطع"، بل تمكن من هزيمة "وهب" وقيده مع أتباعه، ثم اقتنيدوا إلى عاصمته "نينوى" حيث أنزل بهم العقوبات المهيّنة، وهي أنه ربطهم على بوابة مدينته، وجعلهم حراساً له، كما يذكر أنه وضع أطواقاً في رقابهم، وقيدهم على قائم بوابته في نينوى^(٣٣).

ويبدو أن عهد الملك "آشور بانينال" (٦٦٨-٦٢٦ ق.م) شهد أسوأ حالات التغير في التعامل مع العرب. فقد ذكر أن "يطع" -السابق ذكره- قد انقلب ضد الآشوريين وثار عليهم، مما جعله يقود حملة ضده، لكن يطع خان شعبه وهرب إلى "نابايتا" Nabaite

(بلاد الأنباط) قبل أن يصل إليه الجيش الآشوري الذي أشعل النيران في خيم ومساكن شعبه^(٣٤)، ويذكر في نص آخر أنه نقل "البهائم، والماشية، والحمير، والجمال، وساق العرب إلى نينوى، لدرجة أن الجمل بيع في الأسواق بـ (١) شيقل و (نصف) شيقل، هذا فضلاً عن قيامه بتوزيع الهدايا من الجمال والعبيد حتى لفلاحى الحداثق وبائعي الشراب^(٣٥). ومن الملاحظ أنه عندما سعى "نانتو" ملك الأنباط في الصلح ووافق الملك الآشوري على ذلك^(٣٦)، ذهب يطع إلى نينوى، لكن "آشور باننيال" لم يف بوعده حيث يقول "طعنت ذقنه بخنجر في يدي، ومررت حبلاً على حنكه، وقيدته بسلسلة الكلب، وجعلته يحرس (مُرَبِّي) الكلاب، كما جعلته حارساً لبوابة سور نينوى التى تدعى مدخل الأمم المحتشدة"^(٣٧)، ويذكر كذلك أنه وضع طوقاً على عنقي "يطع بن حزائيل"، و "يطع بن بيردادا" المتعاون معه، وجعلهما مع الكلاب يقفون حراساً على بوابة نينوى^(٣٨).

ويبدو أن الملك الآشوري لم يتوقف عند هذا الحد، بل استكمل في نينوى العقوبة ليس ليطع وحسب وإنما كذلك لغيره الذين تحالفوا مع أخيه "شمش-شم-أوكين" الذي تمرد ضده في بابل. فيذكر أنه جعل "يطع" وكذلك الملوك العيلاميين "تاماريتو" Tammaritu، و "أومانالداش" Ummanaldash يتعلقون برباط عربته ويمسكون بها - أثناء عبوره في شوارع نينوى - حتى وصلت إلى معبد "بيت أكيث" Bit-akit (المقر الرسمي للاحتفالات بعيد السنة الجديدة عند الآشوريين)^(٣٩).

ويذكر هذا الملك أيضاً أنه تمكن من أسر "عدية" Adia زوجة "يطع" التي تولت القيادة من بعده، والتي تحالفت مع العرب ومع الأنباط في حربها ضد الآشوريين بسبب نكث الملك الآشوري بعهده في الصلح - كما سبق -، و ذكر أنه نكّل بشعبها، وأحرق مخيماتهم، أما هي نفسها، فقد حكم عليها بالموت^(٤٠)، وبالنسبة لحلفائها الآخرين "أبيطع" Abiate، و "أمو" Amu بن "تعري" Teari وغيرهم، فقد جرى قتلهم في نينوى^(٤١).

ثانياً: تفسير الظاهرة في ضوء عادات ومعتقدات الشعوب المعنية:

هنا نحن نصل الآن إلى النقطة المحورية في الدراسة، بعد أن قدمنا نماذج لمظاهر الاختلاف. فقد استغرق الباحث وقتاً طويلاً وهو يتأمل في جوانب مختلفة لمحاولة الوصول إلى تفسير يوضح أسباب الاختلاف في العقوبات التي فرضها الآشوريون على أعدائهم، حتى اهتدى إلى ضرورة معرفة وتتبع عادات ومعتقدات الشعوب المعنية من أجل الخروج برؤية تحليلية تعتمد على قاعدة معلوماتية شاملة، وذلك من خلال التعرف على مكانة الزعماء والقادة، ومدى تأثيرهم في مجتمعاتهم، وكيف يُنظر إليهم في بلدانهم، وما هي العادات والمعتقدات التي تحكمهم وتتحكم في حياتهم، وهل أدرك الآشوريون كل ذلك؟.

وسنقوم في هذا المحور، بتحليل وتفسير الظاهرة لكل شعب على حدة، بحسب المنهجية التي اتبعناها، مع توضيح لأسباب المشترك والمختلف، ثم سنُتبع ذلك بجدول لتوضيح الفكرة وتسهيل استيعابها. كما سنضطر إلى تكرار المعلومات التي وردت في النصوص السابقة باختصار، لكي نربط المعلومات، والحديثات، والاستنتاجات بعضها ببعض، ومن ثم تكوين صورة متكاملة للوصول إلى الغاية التي قصدها الباحث، وبكل وضوح ..

أولاً: أسية الصغرى:

١- الأناضول:

لاحظنا أن نصوص الربع الأخير من الألف الثاني قبل الميلاد، لم تتطرق للحكام بصورة مباشرة، ولكنها تحدثت عن العقوبات التي أُزلت بجنود الحيثيين بعد هزيمتهم. فقد ذبح الملك "سلمنصر" الأول جنود الحيثيين "كالخراف"، أما "تجلات بلازر" الأول فلم يكتف بقتل الجنود الحيثيين المهزومين، بل "ألقى بجثثهم من أعالي الجبال بما يشبه العاصفة، كما جعل دماءهم تسيل من الجبال إلى الوديان".

ومن خلال تتبعنا لعادات ومعتقدات الحيثيين، وجدنا أن النكبات التي تحل بالبلاد، تقع على عاتق الملك، وأن ذلك راجع إلى إساءة ملكية تخالف المعتقدات الدينية التي آمنوا بها^(٤٢)، كما عرفنا أن هزيمة الجيوش ليست بالأمر الهين، بل يلزم ذلك طقوس تطهير خاصة تصل إلى حد تقديم ضحايا بشرية وحيوانية، وفي هذا الصدد جاء في إحدى التعليمات المرتبطة بذلك ما يلي:

"إذا هُزمت الجيوش من قبل العدو فعليها أن تؤدي طقساً وراء النهر كما يأتي: عليهم أن يشقوا رجلاً، وعنزة، وخنزيراً صغيراً، ويضعون نصفاً على هذا الجانب ونصفاً على ذلك الجانب"^(٤٣). وهذا يعني أن الآشوريين لم يكتفوا بتحقيق الانتصارات وحسب، بل استهدفوا تدمير معنويات العدو، فهزيمة الجيش الحيثي تلقي بظلالها على مختلف الجوانب في البلاد، فإذا كان الملك الذي يوصف بأنه "الملك العظيم"، و "البطل"، و "محبوب الإله"، و "المزود بقوى خارقة"، و "مانح الخير والسعادة للشعب"^(٤٤)، و "المشرف على كل أمور البلاد"^(٤٥)، و "الكاهن الأعلى لمزاراتها"، و "قائد الجيش"، و "القاضي الأعلى"، و "المؤله بعد وفاته"، و "الذي يعد وكيلاً عن معبود العاصفة، ويحكم البلاد بدلاً عنه، وهو الوسيط بين المعبودات والبشر"^(٤٦)، فإذا كان الملك هو المسؤول الأول عن تلك الهزائم، فإن هزيمة الجيش تعني هزيمة للملك، وهزيمة الملك تعني تقصير منه، وهذا الأمر يعني خلافاً في عقيدة الشعب الحيثي ككل، وهو ما يعد من أكبر العوامل التي كانت تترك أثراً مباشراً أو غير مباشر على الحكومة والشعب على السواء، الأمر الذي يجعلهم يقدمون حتى الضحايا البشرية للزوج من تلك الإساءة الملكية، فإذا كان الأمر كما وصفنا، فإن تكرار الهزيمة يعني مزيد من تدمير المعنويات، ولذا تعدد ملوك آشور إشاعة ما جرى، بل والمبالغة فيه، لتحقيق أعلى درجات الانتصار في منطقة معينة. بالإضافة إلى التأثير على معنويات المناطق المجاورة التي تتعرض للمصالح الآشورية.

أما في العصر المتأخر وتحديداً في أواخر القرن السادس ومطلع القرن السابع ق.م،

فقد أشارت النصوص الآشورية إلى كيفية التعامل مع المهزوم ذاته. فهامو الملك "سنحاريب" يشير إلى أنه أسر ملك "قليقيا/كليشيا" المتمرد على الآشوريين، وأنه جرى سلخ جلده وهو حي في العاصمة الآشورية نينوى.

ومن المعلوم أن هذه المرحلة لم يعد للحيثيين فيها مكان، وإنما صارت البلاد مشتتة ومنقسمة إلى دويلات يقطنها المهاجرون "الفريجيون" الذين حلوا محل الحيثيين^(٤٧)، لكن بكل تأكيد لم تنته التقاليد الحيثية، بل تشربها من عرفوا "بالحيثيين الجدد"، وبالتالي فإن سلخ الملك يعني أقصى درجات التحطيم المعنوي لملك ذي مكانة عالية في شعبه، بعد مرارة الهزيمة التي أفضت إلى ذلك الأسر، والتي ستفضي إلى خضوع تام للآشوريين.

٢- أرمينيا:

لقد تعامل الآشوريون مع الدويلات التي كانت قائمة في أرمينيا، بأعلى درجات التمثيل للقتلى والأسرى، ليس في المناطق البعيدة أو الجبلية، بل كان يجري ذلك في المدن المهزومة نفسها وعلى مرأى ومسمع من شعوبها التي بقيت حية !!!.

فالملك "توكلتي نينورتا" الأول، قطع رؤوس القتلى في مدينة "كوماجين" سمرکز التمرد- "وزين بها أعلى قمم الأسوار المهدمة لمدنهم، بينما لجأ الملك "آشور ناصر بال" الثاني إلى قتل الجنود وإحراق الأسرى والفتية بالنار، ولم يكتف بذلك بل كوم جنث القتلى بما يشبه الأبراج"، أما الملك فقد أسره وسلخ جلده حياً، ثم قام بتعليق الجلد المسلوخ على جدار عاصمته دامداموسا" التي أحرقت هي الأخرى بالنار، وفي معركة أخرى جعل جنث القتلى كلبات في بناء الأعمدة، وقبض على الملك بوبو بن بوبا وقام بسلخ جلده في مدينة أربيل. كذلك نلاحظ أن الملك "شلمنصر" الثالث استخدم الأسلوب نفسه، فقطع رؤوس القتلى وكومها كالأهرام، ووضع المهزومين على الخوازيق. كما سار "سرجون" على الأسلوب نفسه، حيث سلخ قائد التآمر على الملك الأورارتى المتحالف معه، ووضعه على البوابة الرئيسة للعاصمة الأورارتية، وإلى جانب ذلك

أشاع هذه الأخبار من خلال إطلاق بعض الأسرى.

وبالنظر إلى ما تقدم نجد أن المجتمع الأورارتي كان مجتمعاً عبودياً يخضع بالكامل للملك الذي يستقوي بأقربائه وجيشه، والذي يعد رأس الدولة ويمتلك كل شيء^(٤٨)، فإن ذلك الملك الملقب بـ "ملك العالم" و "الملك القوي"، و "الذي لا مساومة له"^(٤٩)، كان لا يخشى جانب شعبه، وإنما يستخدمهم في معاركه بحكم نفوذه القوي عليهم، ولذلك -كما يظهر من النصوص- تعتمد الآشوريون التشهير بالملوك والقادة والجنود من خلال التمثيل بهم داخل المدن، وعلى أسوارها وبواباتها، كما تعمدوا إشاعة تلك الأخبار من خلال الأسرى الذين يطلق سراحهم عنوة، وهو ما يعني القضاء على هيبة الملك وقادته في وسط شعوبهم، ومن ثم ضمان خضوع تلك المناطق للآشوريين أطول فترة ممكنة رهبة ورعباً منهم.

ومع أن الآشوريين حققوا منافع سياسية واقتصادية من تلك الانتصارات، ولاسيما في هذه المنطقة، إلا أن هناك من يرى أن إضعاف "أورارتو" دونما ضمان للسيطرة التامة عليها، قد هدد أمن بلاد آشور من خلال الهجرات المتكررة إليها، التي لم تستطع مملكة "أورارتو" الضعيفة والمدمرة لعب دور الحليف الحاجز الذي يمنع المتسللين من الوصول إلى بلاد آشور^(٥٠)، مما يعني أن النتائج لم تكن دوماً في صالح الآشوريين، إلا من قبيل إشاعة الرهبة والرعب في نفوس الأعداء.

ثانياً: الآراميون في سورية:

من الملاحظ أن العقوبات التي طالت زعماء الآراميين وجنودهم لم تختلف عما كان شائعاً في الألف الأول ق.م، فقد شملت سلخ الجلود، وقطع الرؤوس، ووضع الجثث فوق الخوازيق، والمبالغة في أعداد القتلى، وقد كان يُمَثَّلُ بالجنود والقادة داخل مدنها، أما الملوك فيؤخذون إلى العاصمة الآشورية ويتم سلخهم.

ومن المعلوم أن الآراميين اقتبسوا الحضارة المادية للشعب الذي سكنوا في أوساطه.

ففي شمالي سورية، أصبحوا ورثاء ومتابعين لعمل الحضارتين الحيثية والآشورية، وفي سورية الوسطى، ورثوا الحضارة الكنعانية وتابعوها، واتخذت عاصمتهم "سمأل / شمال" في الشمال الغربي مظهر مدينة حثية، ولكن ملوكها كانوا يَتَسَمَوْنَ بأسماء آرامية، وتركوا كتابات أثرية بحروف فينيقية^(٥١)، ومما يذكر كذلك أن القرن الثامن ق.م شهد انتشاراً سريعاً للتأثير السياسي الأورارتي بين الممالك الآرامية في شمال سورية عن طريق "أرفاد"^(٥٢)، التي خضعت لملك أورارتو القوي "سردور الثالث"^(٥٣) الذي حكم في الفترة بين ٧٤٣ ق.م حتى ٧١٤ ق.م^(٥٤). ومن جهة أخرى يستدل من النصوص التي خلفها الآراميون أن الملك كان مهماً في نظر شعبه، ويحمل همهم، كما كان يهتم بالمظاهر الملكية الفخمة. فقد ذكر نص على تمثال أقامه "بنامو" الأول ملك "سمأل/شمال" (القرن الثامن ق.م) لمعبوده "حدد"، أن الملك كان عليه مسؤولية كبيرة تجاه شعبه، حيث جاء "إن هم الملك الأكبر كان سعادة شعبه"^(٥٥)، كما ذكر نص على تمثال تذكاري لملك "سمأل/شمال" "بنامو" الثاني (القرن الثامن ق.م) أن الملك كان يعيش في رفاهة، فذكر: "وفي أيام أبي بنامو عيّن حاملين للكؤوس وسائقي مركبات"^(٥٦).

ويتضح مما تقدم أن الآراميين اتبعوا ما كان سائداً من معتقدات في مدنهم، إلى جانب تمسكهم بعاداتهم التي حملوها معهم عندما هاجروا من الجزيرة العربية^(٥٧)، بمعنى أنهم استلهموا قيماً وتقاليد عدة، جمعت معتقداتهم وتقاليدهم مع ما عرفتته الشعوب الأخرى، فشكلت خليطاً استدعى استخدام العنف الشديد معهم من قبل الآشوريين كباقي الشعوب المعاصرة لهم، وخاصة أن الملك الآرامي كان كما سبق أن عرفنا من نصوص "سمأل/شمال"، "همه الأكبر سعادة شعبه"، فأى سعادة ستكون لشعب سُلِّخَ ملكه، وتخوزقت جثث جنوده؟! سوى الوصول إلى النتيجة التي أرادها الآشوريون، وهي موالة تلك الشعوب لملوك آشور، وضمن أمن البلاد واقتصادها ..

ثالثاً: فينيقيا وعيلام:

اتضح لنا من النصوص أن الآشوريين قد انتهجوا مع الملوك المتحالفين ضدهم، عندما يتمكنون من الإمساك بهم، أسلوباً واحداً ومتميزاً في العقوبات، يشمل التشهير والرعب والعنف في الوقت نفسه ... فالملك "أسرحدون" قطع رأس ملك صيدا الذي ثار ضده، كما قطع رؤوس حلفائه من ملوك الأناضول، ثم علق تلك الرؤوس المقطوعة على مناكب أتباعهم الذين تم أسرهم ليسيروا في موكب النصر على نغمات الموسيقى.

وبالطريقة نفسها تعامل الملك "آشور بانيبال" مع ملك عيلام وحليفه "دونانو"، حيث قطع رأس ملك عيلام وعلقه على رقبة "دونانو" ليسير على تلك الصورة في موكب النصر في نينوى، ثم مالبت أن قطع لسان "دونانو"، ثم سلخ جلده، وأخيراً ذبحه "كالحمل".

وبرؤية تفسيرية لذلك، نجد أن هناك تشابهاً كبيراً في العقوبات المتخذة ضد ملوك فينيقيا وعيلام، وهذا لا يعني بالطبع تشابه في العادات والتقاليد، وإنما هو أسلوب تشهيري أراد له الآشوريون أن يصل إلى الداخل والخارج على السواء، ففي الداخل أرادوا إثارة الرعب لمنع أي اضطرابات أو قلاقل بسبب الخلافات الداخلية التي سادت عهدي "أسرحدون" وابنه "آشور بانيبال" بالترافق مع طموحات التوسع الخارجي من ناحية، وتهديد الوحدة الوطنية من الداخل من ناحية أخرى^(٥٨). أما في الخارج، فقد أراد ملوك آشور تنبيه أي قوى متحالفة ضد الآشوريين إلى أن هناك سياسة أخرى تجمع بين الأساليب القديمة في التعامل مع الأعداء، وبين الأساليب الجديدة المشار إليها آنفاً.

وبطبيعة الحال، فإن ذلك لا يعني عدم بناء العقوبة على أسس من العادات والمعتقدات، بل كان هذا الأمر نصب أعين ملوك آشور. فالفيينيقيون كانوا في البداية شيوخاً لقبائل، ثم تطور نظام الحكم عندهم إلى وجود مجلس للشيوخ، ومع ذلك لم يفقدوا تقاليد البداوة^(٥٩)، ثم ادعى ملوك فينيقيا الطبيعة الإلهية، وجعلوا أنفسهم كهنة المعبودات

الكبرى لمدنهم^(٩٠). أما العيلاميون، فقد كان الملك عندهم يحكم اتحاداً عيلامياً لعدد من الولايات، وكان هو على رأس ذلك الاتحاد، ومن تحته عدد من الأمراء^(٩١). وفي ضوء ذلك نجد أن إهانة ملك له جذور عشائرية، أو كونه كاهناً أعلى، أو ملكاً للملوك، بتلك الطريقة التي مرت بنا، أمر له تداعيات كبيرة، فذلك يدمر الكرامة والمعنويات على حد سواء، ليس للملك فحسب، بل للشعب الذي كان يحكمه كذلك.

رابعاً: فلسطين:

من الملاحظ بالنسبة للنصوص الخاصة بفلسطين، أن ملوك آشور تحدثوا في نصوصهم عن قيامهم بأسر الملك أو أسرته، ولكن لا نعرف المصير الذي يؤول إليه حالهم بعد ذلك.

فالملك سرجون الثاني، يذكر أنه أسر "هانو" أمير غزة الذي سبق له الفرار إلى مصر في عهد تجلات بلالزر الثالث، ثم تحالف معها ليقع في أسر الآشوريين بعد ذلك^(٩٢)، ولكن لا يُعرف مصيره على وجه التحديد بعد أن تم نقله إلى "نينوى". وكذلك الأمر بالنسبة للملك سنحاريب الذي أسر "صدقياً" أمير عسقلان، ثم أرسله إلى "آشور" مع زوجته وأطفاله وإخوته وكل الذكور من نسل أسرته.

ومن المعروف أن النظام الاجتماعي للشعوب التي عاشت في فلسطين، كما ذكر في العهد القديم، كان نظاماً عشائرياً قائم على زعامة الآباء، ومطابق لنظام العشائر العربية^(٩٣)، ومن ثم اتبع الآشوريون معهم الأساليب التي استخدموها مع العرب، فقد اكتفوا بأسرهم منفردين أو مع عائلاتهم أحياناً، ثم إهانتهم، دون الحاجة إلى القسوة الشديدة التي أتبعَت مع جيرانهم الآراميين مثلاً، وربما ما ساعد على ذلك أيضاً أن الآشوريين كانوا يعلمون أن مواقف أولئك الأمراء تتجاذبها صراع المصالح بين المصريين والآشوريين، ومن ثم فهي لا تشكل مواقف صريحة وصارمة في عدائها ضد هذا الطرف أو ذاك^(٩٤).

خامساً: مصر:

أما على الجانب المصري، فقد ذكرت النصوص الآشورية أن الملك أسرحدون عندما احتل مصر سنة ٦٧١ ق.م، لم يتمكن من أسر الملك المصري "طاهرقا" الذي فر إلى "كوش"، ولكنه استطاع أسر زوجة الملك، وجميع نساء قصره، والموظفين، وكذلك ولي عهده الذي سماه النص "أوشناهورو"، وبقية أولاده، وأخذهم جميعاً إلى آشور. كما ذكر الملك الآشوري "آشور بانيبال" أنه قضى على ثورة المصريين، وأن ضباطه قاموا بذبح الثوار وتدمير المدن، وأسروا الأمراء، ثم نقلوا جميعاً إلى نينوى حيث تعامل معهم بقسوة.

وبرغم أن موقف الآشوريين تجاه أمراء فلسطين -كما سبق- أساسه تدخل المصريين لتحريض أولئك الأمراء ضد الآشوريين، إلا أن معاملة الآشوريين للمصريين اختلفت، وهذا أمر طبيعي؛ لأن صراع المصالح بين الجانبين كان على أشده، بل وصل إلى حد تمكن الآشوريين من احتلال مصر، ولذلك استهدف الآشوريون تحطيم معنويات الملك الكوشي الذي ورث عن الحضارة المصرية القديمة نظاماً فردياً مطلقاً، فقد كان الملك هو الدولة، وهو الذي يضمن أمام المعبودات تحقيق المهام الأساسية للدولة^(٦٥)، بل إن الملك "عبد" في مصر، واستمرت عبادته وإقامة شعائر العبادة له حتى بعد موته^(٦٦). ولذلك عندما يذكر النص الآشوري أن الملك المصري فر وترك زوجته ونساء قصره وأولاده أسرى للآشوريين، يصبح الأمر مدعاة لسخرية المصريين، وكذلك الشعوب الأخرى. ومع ذلك لم نعلم أن أولئك الأسرى قد تعرضوا للمهانة باستثناء لوحة تُظهر ولي العهد الأسير "أوشناهورو" وهو مربوط بحبل من أنفه مع آخرين، بينما يقودهم الملك أسرحدون كالحیوانات^(٦٧)، ولكن إغفال الإهانة والتعذيب بعد الأسر لم يكن دائماً الحدث، فقد عرفنا كيف أن الملك آشور يانيبال ترك العنان لضباطه ليقوموا بذبح الثوار المصريين، وكذلك قسوته في معاملة الأسرى كما ذكر. ويظهر من قوله "لم تأخذني بهم الشفقة"، أنه قتلهم، وربما أنه سلخهم كغيرهم من الأمم

الأخرى ..

سادساً: العرب في شمال الجزيرة:

اصطدم الآشوريون بالعرب، أو بالقبائل العربية في شمال الجزيرة العربية مرات عديدة، ومع ذلك نجدهم يستخدمون معهم أساليب لا نجد لها مثيلاً فيما سبق من أمثلة، إلا في حالات فردية ونادرة. وقد وجدنا ثلاثة أساليب مختلفة تعامل بها الآشوريون مع العرب. وفي ضوء ذلك رأينا أن نقدم تقسيماً جديداً للحقبة التي ارتبطت بالأحداث موضع البحث إلى ثلاث مراحل (قديمة، ووسطى، ومتأخرة) بحسب تطور الأساليب واختلافها. ففي المرحلة القديمة، كان التعامل مع الملكات العربيات بين الشدة واللين. وفي المرحلة الوسطى، ظهر التعامل مع الملوك العرب، واختفى ذكر الملكات، كما تغيرت أساليب التعامل بصورة جذرية. وفي المرحلة المتأخرة، ظهر أسلوب جديد يعتمد القتل لأعداء الآشوريين من العرب، وهو ما لم نعرفه من قبل.

(١): المرحلة القديمة:

اتسمت هذه المرحلة بذكر النصوص الآشورية لملكات عربيات عديدات حكمن العرب في منطقة "دومة الجندل" التي أسمتها تلك النصوص "أوماتو"^(٦٨). فقد ذكر الملك "تجلانت بلزر" الثالث أنه هاجم الملكة "شمشي" (شمسة) ملكة بلاد العرب، بسبب أنها "حنثت بعهدا لآشور"، وأنه ذبح من قومها ١١٠٠ شخص، وإن هذه الملكة ولست الأديار "وتركت قومها للجوع والظمأ"، لكنها جاءت إليه بعد ذلك، واعتذرت وقدمت له الهدايا. وذكر الملك "سنحاريب"، أنه عاقب بشدة العرب الذين تحالفوا مع المتمردين الكلدانيين "مردوخ -إيلا-أدينا" الثاني (مردوخ بلادان في العهد القديم) في بابل، وأنه أسر "بسقانو" شقيق الملكة العربية "ياتعة" التي أرسلته لمناصرة التمردين، وذكر أنه جعله وجنوده عبيداً له. كما هاجم "أوماتو" مرة أخرى بعد ذلك وأسر الملكة "تلخنو" مع معبوداتها وأميرة تدعى "تبوعة"، وأخذهم جميعاً إلى آشور. وتنتهي هذه المرحلة

بمطلع عهد "أسرحدون" الذي ولى الأميرة الأسيرة "تبوعة" ملكة على بلاد العرب، كما ذكر أنه أسر ملكة عربية أخرى تدعى "أسكلاتو" (٦٩).

وإذا ما أردنا تحليل وتفسير ومعرفة أسباب اتخاذ الآشوريين لهذه الأساليب مع العرب، التي لاتصل إلى حد "السلخ" كما مر بنا مع أقوام أخرى، فإننا لا بد أن ننطلق في ذلك من ضرورة فهمنا لطبائع العرب وعقائدهم وعاداتهم.

ومن الملاحظ في هذا الصدد أن الأساليب المتبعة مع العرب قد اعتمدت على "الإذلال" و "الإهانة"، فهل من الممكن أن تفر الملكة وتترك قومها للظمأ والجوع؟

من المعلوم أن ملكة "أدوماتو" كانت تعد الكاهنة العليا لكل القاطنين في مملكتها (٧٠)، كما يعرف عن العرب أن كل قبيلة من قبائلهم كان لها مجلس من شيوخها يرأسه الشيخ من بينهم، وكانو يسمونه بالرئيس أو السيد (٧١)، وكان له في نفوسهم وقار وتجلّة (٧٢)، وقد اشترطوا في اختياره أن يكون من أشرف رجال القبيلة، وأشدهم عصبية، وأكثرهم مالاً، وأكبرهم سناً، وأعظمهم نفوذاً (٧٣)، وكان عليه أن يعين الضعفاء، ويفتح بيته للنزلاء والضيوف، ويدفع الديات عن فقراء القبيلة (٧٤).

وفي ضوء ذلك، فإن من يتسم بهذه الأوصاف لا يمكن أن يفر ويترك شعبه ليدبح الآشوريون منهم ١١٠٠، ثم يتبع هذا الموقف بالاعتذار للآشوريين. ولذا فما ذكرته النصوص الآشورية مبني على علم مسبق بعبادات وتقاليد العرب، وقد استهدف تحطيم كبرياتهم ومعنوياتهم من خلال السخرية منهم ومن ملكتهم، واتهامها بما يعد معيباً عند قومها. ولكن إذا كان الآشوريون قد علموا بأن القبائل العربية أو العرب يفضلون الموت على الفرار من المعركة، فإنهم على ما يبدو لم يعرفوا أن الكر والفر كان سجية عند عرب البادية وليس جُبْناً؛ فهم كما يذكر ابن خلدون "يميلون إلى النهب والعبث، ولكن دون مُغالبة وركوب خطر، أو تحدي الصعاب، فهم يفضلون ما سهل ويتركون ما صعب عليهم، ولذا فإنهم عند المَزاحفة والمُحاربة يفرون إلى الأماكن المقفرة"، ومع ذلك نجدهم في حال اضطرابهم للدفاع عن أرضهم وعرضهم، فإنهم

يذهبون بأنفسهم إلى المُحاربة والمواجهة^(٧٥).

أما استخدام النصوص الآشورية لعبارة "الحنث بالقسم" من قبل العرب، فذلك في حال حدوثه، يعد عيب كبير عند عرب البادية؛ لأنه عُرِفَ عن العربي أنه إذا نطق كلمة وعد، أوجبت عليه عهداً يفِي به على أكمل وجه، وإلا يتعرض شرفه للتجريح، وتتسم سمعته بالعار، ولذا كان الوفاء من سمات نبيل الأخلاق عندهم^(٧٦).

والسؤال الذي يطرح نفسه هو: لماذا انتهج الآشوريون في هذه المرحلة أسلوب التسامح مع الملكة "شمسي". ولماذا ذهبت هي أصلاً للاعتذار للآشوريين وموالاتهم؟ يبدو أن الآشوريين كانوا يدركون أن مجرد قبول عرب البادية بموالاته الآشوريين وتقديم الهدايا (الجزية) لهم، هو في حد ذاته عقوبة لهم؛ لأن ذلك يعني إذلال وإهانة الملكة وشعبها على حد سواء، وخاصة أن النص يذكر أن الملك الآشوري أرسل معها وكيلاً سياسياً آشورياً للإشراف على سياستها، وحماية المصالح الآشورية - على ما يظهر - لضمان مرور القوافل التجارية التي لا بد أن تمر عبر "أدوماتو" في طريقها إلى المملكة الآشورية.

أما موقف الملكة، فيبدو أنه قد حكمته عدة عوامل، من بينها ما ذكره ابن خلدون: أن ذُلَّ العربي وانقياده، دليل على فقدان العصية، وبالتالي عجزه عن المُدافعة، والمُقاومة، والمُطالبة^(٧٧)، وهذا مرده في رأينا إلى أمرين: أولهما، أنه بالرغم من أن هذه المرحلة قد أتاحت للمرأة أن تكون على رأس أعلى الهيئات الحاكمة، ولها صلاحية إعلان الحرب، وإبرام معاهدات السلام، واتخاذ قرار الاشتراك في الأحلاف المعادية للآشوريين^(٧٨)، إلا أن العربي كان ينظر للمرأة التي تشاركه في شؤون الحياة، أنها لا تُعْنِي غناء الرجل في الحروب التي هي جزء من حياتهم التي أَلْفوها، فانحطت لذلك منزلة المرأة عن منزلة الرجل^(٧٩)، وهو ما دفع الملكة لذلك الموقف. وثانيهما، أن حلة الاستقرار قد غيرت طباع عرب البادية في "أدوماتو"، فكما يذكر ابن خلدون: أن شجاعة أهل البادية تتناقص "إذا نزلوا الحضر، وألّفوا النعيم وعوائد

الخصب في المعاش"، فالشجاعة عندهم تتناقص بمقدار تناقص بداوتهم، وبمقدار اندماجهم مع الآخرين، أو كما عبر عنها بقوله "زوال وحشيتهم" ^(٨٠)، وهذا يفسر أن حالة الاستقرار الاقتصادي في "أدوماتو"، وتبادلها المصالح مع الغير، جعلت الملكات يتعاملن بهدوء مع الآشوريين، بل عملن على "تحاشي" إغضابهم - بعد أن عرفن حجم قوتهم - من خلال المسارعة إلى تقديم الهدايا (الجزية)، ومع ذلك فإن هذا الأمر لا يمثل حالة من الثبات في مواقفهم؛ لأننا نعرف تكرر الآشوريين لمهاجمتهم عند امتناعهن عن تقديم تلك الهدايا (الجزية)، أو عندما يتحالفن مع قوى معادية للآشوريين، وهو ما يعني بدوره أن تلك الملكات أردن تحقيق المصالح الاقتصادية لبلادهن رغبة في التخلص من الإذلال والتبعية للآشوريين دون الالتفات إلى العواقب أحياناً. فعندما ينتابهن الإحساس بالذل والمهانة نتيجة السماح للآشوريين بنهب ثروات بلادهن من خلال ما يقدمنه لهم من الهدايا (الجزية) السنوية المفروضة عليهن، فإنهن لا يترددن في الانضمام إلى التحالفات التي تقوم بين وقت وآخر ضد الآشوريين، ومع ذلك لا يجدن حرجاً في مسaire المتغيرات الداخلية والخارجية، فيقدمن للآشوريين الاعتذار، ويتصالحن معهم، وخاصة إذا ما أدركن غلبة القوة الآشورية، وانسحار أو هزيمة أعداء الآشوريين في أماكن أخرى.

ولكن لماذا امتنع الآشوريون عن الإهانة والتشهير بالملكات والأميرات العربيات اللاتي يتم سبيهن؟

يبدو أن الآشوريين قد فهموا أن قتل المرأة العربية المسبية بالنسبة للعرب أفضل من بقائها؛ لأن ذلك يجلب عليهن وعلى قبائلهن الذل والعار، ولما كان الآشوريون يرغبون في السيطرة على طرق العرب التجارية، ويعلمون استحالة سيطرتهم على الصحراء وأعرايها، فإنهم عمدوا إلى الإهانة بالدرجة الأولى، لتحقيق مزيد من الضغط عليهم، ومن هنا يمكن أن نفهم، سبب عدم قيام "سنحاريب" بقتل وسلخ الملكة "تلخنو"، ولماذا لم يفعل ذلك أيضاً الملك "أسرحدون" مع الملكة "أسكلاتو"، بل نفهم في

ضوء ذلك أيضاً، إصرار "أسرحدون" على تولي الأميرة المسيبية "تبوعة" على بلاد العرب، بعد أن صار ملكاً على آشور.

لقد تحققت العقوبة بالإهانة والإذلال؛ لأن العربي كان يفضل الموت دفاعاً عن قبيلته، وذوداً عن الحريم، وصوناً لهن من ذل السبي^(٨١)، بل بلغ بهم الحال مع المرأة -كما يذكر الألوسي-، أن الملوك كانوا إذا سبوا القبيلة خرجت إليهم السادة للفداء، فكهوا أن يعرضوا النساء نهاراً فيفتضحن، (ولذا كانوا يتحينون الوقت المناسب من الليل) فيوقدون النار التي عُرفت بنار الفداء، فيغرضن^(٨٢). فكيف سيكون إذاً حال العربي عندما تُسبى ملكته، أو تعود أميرته المسيبية ملكة عليه، بل وفي حال ولاء شديد للآشوريين، أليست هذه عقوبة أقوى من القتل والسلخ؟

والأمر نفسه ينطبق على القائد "بسقانو" وجنوده الذين تحولوا من سادة إلى عبيد، فالعربي الذي طُبع سلوكه بالشهامة والدفاع عن الجار واللاجئ والمستغيث، والعفو عند المقدرة^(٨٣)، وحُب السيطرة والغلبة^(٨٤)، و المروءة التي تعتمد على الشجاعة والكرم^(٨٥)، القتل عنده أهون عليه من أن يصبح عبداً تابعاً لعدوه، فهل هناك عقوبة أقوى من الاستعباد بالنسبة للعربي؟ ..

(ب): المرحلة الوسطى:

امتازت هذه المرحلة باختفاء دور الملكات بعد وقت قليل من تولي أسرحدون الحكم في آشور وظهور دور الملوك العرب، لدرجة أننا لم نعد نسمع سوى عن امرأة واحدة، هي "عديّة" التي حلت محل زوجها "يطع" الأسير لدى الآشوريين، ولكن في قيادة الجيش فقط وليس في تزعم العرب؛ لأنها وحلفاءها استمروا في ولائهم للملك الأسير واعترفهم بزعامته عليهم، بل من أجله دخلوا في صراع عنيف مع الآشوريين. كذلك امتازت هذه المرحلة باستمرار أسلوب العقوبة بالإهانة والإذلال.

تبدأ هذه المرحلة من عهد الملك "أسرحدون" الذي ذكر في بداية عهده ملكتان هما

"ياتعة" الأميرة الأسيرة التي صارت ملكة كما سبق ذكره، و"اسكلاتو"، ثم تتحدث نصوص هذا الملك عن "يطع" بن "حزائيل" ملك بلاد العرب، الذي كان موالياً للآشوريين في بداية عهده. فيذكر "أسرحدون" أنه سير حملة لمعاونة حليفه "يطع" ضد شخص يدعى "وهب"، الذي هُزِمَ واقتيد مع أعوانه إلى "نينوى" حيث بدأ بمعاقبته بما تأباه كرامة العربي وتمقته، فربطه ومن معه على بوابة مدينته، وجعلهم حراساً له، كما يذكر أنه وضع أطواقاً في رقابهم وقيدهم على قائم بوابته في نينوى.

ثم ينتقل الأسلوب نفسه إلى عهد الملك الآشوري "أشور بانيبال"، الذي شهد عهده انقلاباً من قبل حليفه "يطع" على الآشوريين، وهو ما أثار غضب الملك الآشوري الذي هاجم بلاد العرب بعنف شديد، كما أخذ يشن الدعاية التي تقلل من شأن الملك في نظر شعبه، فنكر أن "يطع" خان شعبه، وهرب إلى بلاد الأنباط قبل أن يصل إليه الجيش الآشوري الذي أشعل النيران في خيم ومساكن شعب "يطع"، ونقل البهائم والماشية، والحمير، والجمال، وساق العرب كذلك إلى نينوى...، ويظهر أن حجم النهب والأسر كان كبيراً جداً؛ لأن النص الآشوري تحدث عن رخص سعر الجمال والمواشي في نينوى، بل يتجاوز ذلك ليتحدث عن كثرة العبيد والجمال، لدرجة أنه كان يهدي الجمال والعرب الذين صاروا عبيداً، إلى أناس عاديين، مثل بائع الشراب وغيره..

لم تتوقف الأمور عند هذا الحد، بل حنث الملك الآشوري بتعهده لملك الأنباط الذي توسط بالحل بين الخصمين، بحيث يذهب "يطع" إلى نينوى، فأذاقه مرارة النذل والإهانة كعقاب له على تنكره لجميل الآشوريين الذين خلصوه من المتمرّد وهب. وفي هذا الصدد يذكر أنه طعن ذقنه بخنجر في يده، ومرّر حبلاً على حنكه، وقيده بسلسلة الكلب، وجعله يحرس "مُرَبّي" الكلاب، وجعله حارساً لإحدى بوابات نينوى المسماة "مدخل الأمم المحتشدة"، بمعنى إهانته أمام كل الناس، ويذكر أيضاً أنه وضع طوقاً على عنقه "يطع" بن "حزائيل" وحليفه "يطع" بن "ببردادا"، وجعلهم مع الكلاب يقفون حراساً على بوابة نينوى. ويبدو أن الملك الآشوري لم يكتف بما فعله، بل جمع "يطع"

وملوك عيلام الذين تحالفوا مع أخيه "شمش-شم-أوكن" ضده لمعاقبتهم بصورة جماعية^(٨٦)، فيذكر أنه جعل "يطع" ملك العرب مع ملوك عيلام الذين ذكرهم النص بتعلقون برباط عربته، فأمسكوا بها أثناء عبوره في شوارع نينوى قاصداً الوصول إلى معبد "بيت أكتو" حيث سيحتفل بعيد السنة الجديدة عندهم:

كل ما تقدم، مارسه ملوك آشور مع ملوك وقادة العرب في هذه المرحلة، ولذلك غضب ملك الأنباط لهذا الفعل، وجمع "عديّة" زوجة "يطع" وجيشها (أنصارها) والمتحالفين معهم للدخول في حرب ضد الآشوريين، بل انضم إليهم حتى "أبيطع" الذي عينه الآشوريون بديلاً للملك الأسير.

ولتفسير ما تقدم، نجد أن "يطع" قد ثار ضد الآشوريين رغم تحالفه معهم؛ لأنه أحس بعبء وثقل الجزية التي فرفضها الآشوريون عليه، مما يعني تبديد ونهب لثروات العرب دون مقابل^(٨٧)، فذهب "يطع" إلى ملك الأنباط لطلب النجدة، ولم يفر كما صور الأمر الملك الآشوري، ويبدو أن ذلك كان قبل وصول الجيش الآشوري بالفعل، ويبدو كذلك، أن ما تربى عليه "يطع" من عادات وتقاليد عرب البادية، جعلته يأنف الخضوع للأجنبي والركون إلى حمايته؛ لأن العرب على الدوام "كما يذكر ابن خلدون -قائمون بالمدافعة عن أنفسهم لا يكلونها إلى سواهم، ولا يتقون فيها بغيرهم"^(٨٨)، "وكان لا يصدق دفاعهم وزيادهم إلا إذا كانوا عصبية وأهل نسب واحد؛ لأنهم بذلك تشتت شوكتهم ويخشى جانبهم"^(٨٩)، فالأرض التي تنزل بها القبيلة، والتي تعيش عليها، تنتشر بطونها وعشائرها لحمايتها، فلا تسمح لغريب النزول بها أو حتى المرور إلا بموافقتها، وتسمى هذه الأرض "منزل القبيلة"، كما تسمى "بيوت القبيلة"، أو "بيوت العشيرة"^(٩٠)، وهذا يعني أن وطنية البدوي (الأعرابي) وطنية قبلية، لا وطنية شعبية، وهذا الشعور بارتباطه بقبيلة يحميها وتحميه هو المسمى بالعصبية^(٩١)، وكان العون والمناصرة يتم بمجرد أن تدخل القبيلة في حلف مع قبيلة أو قبائل أخرى، فيصبح عليهم كل الحقوق وكل الواجبات، من حماية، ونجدة، ودفاع مشترك^(٩٢). وهذا يفسر

موقف ملك الأنباط الذي ذهب إليه "يطع" طالباً النجدة.

أما موقف الآشوريين وعقوباتهم، فقد جاءت منسجمة مع كل ما يرفضه العربي، فربط الملك مع الكلاب حارساً في الباب، أو تحويل الأعراب الأسرى إلى عبيد، أمور كلها كانت بالنسبة للعربي معادلة للقتل والسلخ ومختلف أنواع التمثيل التي مرت بنا مع شعوب أخرى، بل إن العقوبات المتخذة ضد العرب أقسى وأقوى؛ لأنهم يقتلون ويُسلخون في كل لحظة ذل وإهانة ..

(ج): المرحلة المتأخرة:

فضلنا استخدام مصطلح "المرحلة المتأخرة"؛ لأن مملكة "أدوماتو" في هذه المرحلة انتهت تماماً، ولم تعد تذكر بعد ذلك إلا كمدينة أو محطة في طريق القوافل فحسب، وحسن لغير أهلها.

على أية حال، انتقلت أساليب العقوبات الآشورية ضد العرب إلى مرحلة لم يألفها العرب من قبل، فقد شن الملك "آشور بانيبال" هجوماً على أتباع "يطع" وتمكن كما يذكر - من أسر "عدية" زوجة "يطع"، ونكل بشعبها وأحرق مخيماتهم، ثم أخذها إلى نينوى حيث حكم عليها بالموت، أما حلفاؤها الآخرون الذين تمكن من القبض عليهم، وهم "أبيطع"، و "آمو بن تعري" وآخرون، فقد أخذوا كذلك إلى نينوى ليتم قتلهم هناك. ومن المرجح لدينا أن تغيير أسلوب العقوبات الآشورية تجاه العرب، من الإهانة والإذلال، إلى القتل، مرده إلى سببين هما:

أولاً: أدرك الآشوريون أنه بالرغم من الإهانة والتركيز على ما يعتبره العرب عيباً أو عاراً، لم يجد استجابة واستسلاماً، بل زاد من ثورتهم وعدائهم للآشوريين.

ثانياً: اجتماع الناس حول زعماء العرب بمن فيهم صنائع الآشوريين مثل "أبيطع"، إلى جانب بروز جانب التحالفات القبلية، وظهور قبائل جديدة تشترك في الصراع مع الآشوريين، قد أقلق نينوى، ولذلك تغيرت نظرة الآشوريين لهم فبدلوا أساليب

عقوباتهم. فالعرب لم يعودوا -كما يظهر- بدواً قليل العدد والعدة، ويسهل السيطرة عليهم والاقتراب منهم، أو التضيق على أرزاقهم، بل صاروا يحملون السلاح ضد الآشوريين، ويتحالفون مع أعدائهم في أحوال عديدة، وهو ما حسب له الآشوريون ألف حساب، فاستبدلوا الاحتواء بالقسوة كغيرهم من قبل الشعوب الأخرى. وهذا يعني أنه من الممكن أن يتهاون ملوك آشور مع الحالات الفردية أو المعزولة أو الضعيفة، ولكن الأمر يتغير إذا بلغ حد التحالف، واجتماع كلمة العرب بقيادة زعيم واحد، وتوسيع دائرة الصراع ضدهم. فاجتماع كلمة العرب وتوحد هدفهم في هذه المرحلة، قد يؤدي إلى قيام مملكة عربية قوية في شمال الجزيرة العربية تشكل قلقاً لمصالح الدولة الآشورية التي تعاني من التصدع الداخلي والخارجي، بل من قرب نهاية عصرها على أيدي الكلدانيين/الكلدانيين ..

الخلاصة:

خرجنا من هذه الدراسة بالإجابة عن السؤال المحوري فيها، المتعلق بأسباب اختلاف عقوبات الآشوريين ضد زعماء الشعوب الأخرى وأعدائهم. وقد توصلنا إلى أن الآشوريين كانوا على دراية بطبيعة وعادات وتقاليد كل شعب من الشعوب التي تعاملوا معهم، وبنوا على أساسه سياستهم تجاه تلك الشعوب، بصرف النظر عن جدواها أحياناً وعدم جدواها في أحيان أخرى، ويمكن تلخيص ذلك فيما يلي:

ففي الأناضول: كان التركيز على التشهير بالجيش وإبراز هزيمته وتدميره ولو لم يصلوا إلى الملك نفسه؛ لأنهم أدركوا أن الهزيمة ستطاله وستطال عقيدته سواء أكان حاضراً أم غائباً.

أما بالنسبة لأورارتو: فإن أسلوب التمثيل والتشهير بالمهزومين داخل المدن المهزومة، وعلى أسوارها، قصد به تدمير هيبة الملك المسيطر والمتجبر على شعبه، ومن ثم تحطيم كبريائه، ومكانته، ومعنوياته، هو وجيشه، حتى شعبه الذي لم يألف سوى العبودية للملك.

كذلك الحال كان عند الآراميين: فلأن عاداتهم كانت لفيفاً وخليطاً من عادات الشعوب التي حلت محلها، فقد أنزل بهم أصناف العقوبات التي كانت شائعة، من أسر، وقتل، وسلخ ...

ولكن الحال تغير مع الفينيقيين والعمالييين: من حيث توحيد العقوبة ضد المتحالفين من خلال جمعهم وإرعابهم، وقطع رؤوس بعضهم وجعل البعض الآخر يحملها، هذا فضلاً عن الإهانة، وسلخ الجلود، وهم الذين سادوا وتألّوها على شعوبهم ..
أما بالنسبة لفلسطين: فقد عومل ملوكها الأسرى، وأسراهم، وأتباعهم، بالأسلوب نفسه الذي كان متبعاً مع العرب من حيث الإذلال والإهانة، ربما بسبب عاداتهم المتشابهة بحكم صلاتهم بهم، وتشابه نظامهم الاجتماعي معهم ..

ومع ذلك فإن الأمر اختلف في جارتها مصر: فقد تم أسر عائلة ملك مصر وإهانتهم من قبل الآشوريين، كما اتضح لنا من اللوحة التي يظهر فيها ابن "طاهرقا" في وضع مهين، وهذا أمر شديد الوطأة على ملك مؤله، وهو الدولة كلها في بلاده. كما تعامل الآشوريون مع الأمراء الثوار وأتباعهم، بالقتل، والسلخ، والذبح.

أما بالنسبة للعرب: فقد جاءت العقوبات المفروضة ضدهم منسجمة مع كل ما ترفضه كرامة العربي، من حيث ارتباطها بالإذلال، والإهانة، والتحقير، إلى حد ربط الملك مع الكلاب حارساً على البوابة، أو تحويل الأعراب الأسرى عبيداً، وهذا بالنسبة للعرب معادل للقتل والسلخ ومختلف أنواع التمثيل التي عرفتتها الشعوب الأخرى، بل هي أقسى وأقوى من ذلك كله.

جدول توضيحي لأنواع العقوبات، ولما هو متماثل ومختلف من الأساليب

نوع العقوبة	البلاد أو الشعب	زمن الحدث
قطع رؤوس الملوك والتمثيل بها	فينيقيا-عيلام	الألف الأول ق م
سلخ جلود الملوك والأمراء والتمثيل بها	الأناضول-أورارتو- الآراميون-فينيقيا-عيلام	الألف الأول ق م
أسرُ الملوك وإهانتهم	فلسطين-العرب	الألف الأول ق م
أسرُ أسر الملوك	أورارتو-الآراميون-مصر	الألف الأول ق م
سلخ جلود القادة وتعليقها على أسوار وبوابات المدن	أورارتو-الآراميون-مصر	الألف الأول ق م
قتل القادة والجنود والتمثيل بهم	الأناضول أورارتو الآراميون مصر العرب	الألف الثاني ق م الألف الثاني + الألف الأول ق م الألف الأول ق م الألف الأول ق م الألف الأول ق م

قائمة المراجع

المراجع العربية والمعرّبة:

- أبو بكر، عبد المنعم: "النظم الاجتماعية"، في كتاب تاريخ الحضارة المصرية - العصر الفرعوني، مج ١٠١ القاهرة (د.ت). (ص ١٠٩-١٣٢)
- الأحمد، سامي سعيد، رضا جواد الهاشمي: تاريخ الشرق الأدنى القديم - إيران والأناضول، بغداد (د.ت).
- الأكوسي البغدادي: السيد محمد شكري: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج ٢، عني بشرحه - وتصحيحه وضبطه: محمد بهجة الأثري: بيروت (د.ت).
- أمين، أحمد: فجر الإسلام. القاهرة، طبعة ١٩٩٦.
- برو، توفيق: تاريخ العرب القديم، دمشق، ط ٢ ١٩٩٦.
- جرني، أد: الحثيون، ترجمة: محمد عبد القادر محمد، مراجعة: فيصل الوائلي. القاهرة، طبعة ١٩٩٧.
- حتي، فليب: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج ١، ترجمة: جورج حداد، مراجعة: عبد الكريم رافق، أشرف على مراجعته وتحريره، جبرائيل جبور. بيروت (د.ت).
- حتي، فليب، إدورد جورج، جبرائيل جبور: تاريخ العرب، بيروت، ط ١، ٢٠٠٢.
- حسن، حسين الحاج: حضارة العرب في عصر الجاهلية. بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.
- ابن خلدون: مقدمة العلامة ابن خلدون، بيروت (د.ت).
- دياكوف، ف، ف.س. كوفاليف: الحضارات القديمة، ج ١، ترجمة: نسيم اليازجي. دمشق، ط ١، ٢٠٠٠م.
- ديلابورت، ل: بلاد ما بين النهرين، ترجمة: محرم كمال بك، مراجعة: عبد المنعم

برسكو، طبعة ١٩٩٧.

الراوي، فزروق ناصر: "التعبئة وأساليب القتال في الجيش الآشوري"، كتاب الجيش وال سلاح، ج ٢، بغداد ١٩٨٨. (ص ١١٧-١٧٨)

رو، جورج: العراق القديم، ترجمة وتعليق: حسين علوان حسين، مراجعة: فاضل عبد الواحد علي. بغداد ١٩٨٤.

ساكر، هاري: عظمة بابل، موجز حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة، ترجمة: عامر سليمان، الموصل، ط ١٩٧٩.

سالم، السيد عبد العزيز: تاريخ العرب القديم في عصر الجاهلية. بيروت ١٩٧٠.
السعدي، حسن محمد محي الدين: في تاريخ الشرق الأدنى القديم، ج ٢، العراق- إيران- آسيا الصغرى. الإسكندرية ١٩٩٥.

سليمان، توفيق: دراسات في حضارات غرب آسيا القديمة (١)، من أقدم العصور إلى عام ١١٩٠ ق.م (الشرق الأدنى القديم، بلاد ما بين النهرين، بلاد الشام). دمشق، ط ١، ١٩٨٥.

صالح، عبد العزيز: الشرق الأدنى القديم - مصر والعراق. القاهرة، ط ٤، ١٩٨٤.
عبد النعيم، عبد القادر خليل: "السياسة الخارجية للملك آشور ناصر بال الثاني بين عامي ٨٨٣-٨٨٠ ق.م"، المجلة التاريخية المصرية، تصدر عن الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، مج ٣٤، سنة ١٩٨٧. (ص ٤٣-٦٩)

عصفور، محمد أبو المحاسن: المدن الفينيقية. بيروت ١٩٨١.
المخلفي، عارف أحمد إسماعيل: دراسات في تاريخ الشرق القديم (١): العلاقات التاريخية بين العراق وشبه الجزيرة العربية، منذ منتصف الألف الثالث ق.م، وحتى منتصف الألف الأول ق.م. صنعاء، ط ١، ١٩٩٨.

المخلفي، عارف أحمد إسماعيل: دراسات في تاريخ الشرق القديم (٢): العراق

وبلاد الشام: صنعاء، ط١، ٢٠٠٢.

المخلافي، عارف أحمد إسماعيل: دراسات في تاريخ الشرق القديم (٣): تاريخ وادي النيل-مصر والسودان. صنعاء، ط١، ٢٠٠٤.

منشورات إدارة الآثار والمتاحف: مقدمة في آثار المملكة العربية السعودية، الرياض ١٩٧٥.

مهران، محمد بيومي: مصر والشرق الأدنى القديم (٨)، بلاد الشام، الإسكندرية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

ميخائيل، نجيب: مصر والشرق الأدنى القديم (٥)، الشرق الأدنى القديم-وادي الرافدين، بلاد الحثيين، فارس، القاهرة ١٩٦٣.

هبو، أحمد أرحيم: تاريخ الشرق القديم (١) سورية، صنعاء، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

هبو، أحمد: تاريخ الشرق القديم (٢): بلاد ما بين النهرين (العراق). صنعاء، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

هوسون، جونيفيف، دومينيك فالبييل: الدولة والمؤسسات في مصر، من الفراعنة الأوائل إلى الأباطرة الرومان، ترجمة: فؤاد الدهان. القاهرة، ط١، ١٩٩٥.

اختصارات المراجع غير العربية:

ANET: Prichard.J.B, Ancient Near Eastern Texts Relating To The Old Testament, New Jersey, 1969.

ARAB: Lukenbill.D.D, Ancient Records Of Assyria And Babylonia, Chicago. Vol.1, 1926 & Vol.2, 1927.

CANE: Sasson.J.M, (ed), Civilizations Of The Ancient Near East, Vol.II, New York, 1995.

POTT: Wiseman.D.J, Peoples Of Old Testament Times, Oxford,1975.

المراجع غير العربية:

Ghirshman.R, Iran,London,1954.

Irvine.K.A, "The Arabs And Ethiopians". In, Wiseman.D.J, POTT,Oxford,1975. (PP.287-311)

Lukenbill.D.D, Ancient Records Of Assyria And Babylonia.Chicago.Vol.1,1926 & Vol.2,1927.

Musil.A, Arabia Deserta. New York.1927.

Oppenheim.A.L, "The Babylonion And Assyrian Histirical Texts",In, ANET,New Jersy, 1969. (PP.295-317)

Sagges.H.W.F, "The Assyrians", In,Wiseman.D.J, POTT,Oxford, 1974. (PP.156-178)

Sams.G.K, "Midas Of Gordion And The Anatolian", In,CANE,New York, 1995. (pp.1147-1159)

Zimansky.P.E, "The Kingdom Of Urartu In Eastern Anatolia", In,CANE,New York,1995. (PP.1135-1146)

الهوامش

(١) Lukenbill.D.D, Ancient Record Of Assyria and

Babylonia. Vol.I, Cicago, 1926. Par. 116, P. 40. (سيشار إليه فيما بعد

بالاختصار ARAB.1).

(٢) الحيثيون: استوطنت القبائل الحيثية منطقة "كبادوكيا" في آسيا الصغرى في نهاية

الألف الثالث ق.م، بعد أن هاجرت إليها من البلقان، أو من المناطق الشمالية التي

تقع على سواحل البحر الأسود. ثم تمكنوا من تأسيس دويلات مدن حيثية في

الأناضول لتبدأ حرباً توسعية بينها، نتج عنها تأسيس مملكة للحيثيين خلال القرن

التاسع عشر ق.م تقريباً، ثم مرت بثلاث مراحل: الأولى تبدأ بسنة ١٦٠٠ ق.م،

وتعرف بالإمبراطورية الحيثية القديمة. والثانية تبدأ بسنة ١٣٨٠ ق.م، وقد أتت

بعد مرحلة صراع وانقطاع، وتعرف بالإمبراطورية الحديثة، والتي انتهت على

أيدي شعوب البحر. انظر، سليمان توفيق: دراسات في حضارات غرب آسيا

القديمة، من أقدم العصور إلى عام ١١٩٠ ق.م (الشرق الأدنى القديم - بلاد ما بين

النهرين - بلاد الشام)، دمشق، ط١، ١٩٨٥. ص ٢٦٨-٣٠٥. أما المرحلة الثالثة،

فقد عُرف أصحابها بـ (الحيثيين الجدد)، وهم مهاجرون فريجيون استقروا في

منطقة الحيثيين، واستمروا حتى انتهى أمرهم على يد الآشوريين سنة ٧٠٩ ق.م.

عن مرحلة الفريجيين انظر:

Sams.G.K, "Midas Of Gordion And The Anatolian Kingdom Of Phrygia", In, Sasson.J.M.(ed), Civilizations Of The Ancient Near East. Vol II, New York. 1995. PP. 1147-1159.

(٣) - ARAB I, Par. 227. PP. 77-78.

(٤) كليقيا/كليكيّا: تقع في الزاوية الجنوبية الشرقية لآسيا الصغرى، وتفصلها جبال

طوروس عن "كبادوكيا" وسوريا. حتى، فليب: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين،

- ج ١، ترجمة: جورج حداد، مراجعة: عبد الكريم رافق، أشرف على مراجعته وتحريره: جبرائيل جبور. بيروت (د.ت) ص ٨٠٣.
- (٥) ديلابورت، ل: بلاد ما بين النهرين، ترجمة: محرم كمال بك، مراجعة: عبد المنعم أبو بكر، القاهرة، طبعة ١٩٩٧ ص ٢٦٠.
- (٦) نشأت على أرض أرمينيا حضارة مهمة في النصف الأول من الألف الأول ق.م، عُرفت باسم "أارات" أو "أوراتو"، وكانت أقاليم "نائيري" الوعرة التي ذكرتها النصوص الآشورية منذ عهد الملك "توكلتي نينورتا" الأول (١٢٤٤-١٢٠٨ ق.م) تشكل جزءاً منها عندما قامت المملكة بعد اتحاد القبائل الحورية التي عاشت في تلك المرتفعات، وقد دخلت في صراع مرير مع الآشوريين في العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م)، ثم انتهت على أيديهم على ما يبدو. ولا نعرف أسماء ملوكها قبل النصف الثاني من القرن التاسع ق.م. حول ذلك انظر: Zimanisky.P.E, "The King dom Of Urartu In Eastern Anatolia" In, Sasson.J.M.(ed), Civilizations Of The Ancient Near East.Vol II, New York.1995.PP.1135-1146. (سيشار للكتاب بعد ذلك بالاختصار CANE II)
- (٧) ديلابورت: بلاد ما بين النهرين، ص ٢٤٩.
- (٨) ARAB I,Par.445,P.146 ، مهران، محمد بيومي: مصر والشرق الأدنى القديم، بلاد الشام، الإسكندرية، ط١، ١٩٩٠ ص ٣٦٣.
- (٩) انظر أرمينيا، الحاشية رقم (٧).
- (١٠) - ARAB I,Par.441,P.143 ، عبد النعيم، عبد القادر خليل: "السياسة الخارجية للملك آشور ناصر بال الثاني بين عامي ٨٨٣-٨٨٠ ق.م". المجلة التاريخية المصرية، تصدر عن الجمعية المصرية للدراسات التاريخية بالقاهرة، مج ٤، سنة ١٩٨٧ ص ٥٠-٥٢.
- (١١) انظر الحاشية رقم (٧).

- (١٢) ديلابورت: بلاد ما بين النهرين، ص ٢٨٥.
- (١٣) Zimansky.P.E, In, CANE II, P.1139 ، وانظر النص كاملاً في:
Lukenbill.D.D,Ancient Record Of Assyria and Babylonia. Vol.II, Cicago,
1927. Par.158,PP.84-85. (بالاختصار ARAB II) سيشار إليه فيما بعد .
- (١٤) انظر النصوص في ARAB II,1927,155-165.
- (١٥) الراوي، فاروق ناصر: "التعبئة وأساليب القتال في الجيش الآشوري"، في
كتاب الجيش والسلاح ج٢، بغداد ١٩٨٨ ص ١٤٦-١٤٧.
- (١٦) الآراميون: هاجر الآراميون من الجزيرة العربية إلى الهلال الخصيب، وحاولوا
إقامة دولة لهم، لكنهم اصطدموا بالضربات الآشورية القوية ضدهم، ومع ذلك
انخرطوا في التجارة، وأنشؤوا لهم دويلات عديدة في الأناضول، وسورية،
والعراق، وشرق الأردن، وقد أدت هذه الدويلات دوراً مهماً في النصف الأول
من الألف الأول ق.م، وبلغ تأثيرهم الثقافي إلى حد أن صار الخط الآرامي هو
المعروف في الشرق القديم على المستويين الدبلوماسي والاقتصادي آنذاك، لكن
هذه الدويلات انتهت تحت الضربات المتتالية من قبل الآشوريين في عصرهم
الحديث. انظر: حتي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص ١٧٤-١٨٤ هـ،
أحمد أرحيم: تاريخ الشرق القديم (١) سورية، صنعاء، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
ص ٢٦٥-٢٧١ مهران، بلاد الشام، ص ١٩٣-٢١٣.
- (١٧) ARAB II, Par.443,PP.144-145 ، ديلابورت: بلاد ما بين النهرين، ص
٢٥٢-٢٥١.

- (١٨) ARAB II,Par.611,P.223 ، وكذلك:
Oppenheim.A.L, "The Babylonion And Assyrian Historical Texts", In,
Prichard.J.B, Ancient Near Eastern Texts Relating to The Old

Testament.New Jersey,1969. P.275. (ANET
بالاختصار)

ARAB II,Par.55,PP.26-27 (١٩)

ANET,PP.290-291 (٢٠)

(٢١) ARAB II,Par.527PP.211-212, Par. 228,P.212 ؛ صالح، عبد العزيز:

الشرق الأدنى القديم، مصر والعراق، القاهرة، ط٤، ١٩٨٤ ص ٥٣٣،

ميخائيل، نجيب: مصر والشرق الأدنى القديم، ج٥، الشرق الأدنى القديم، وادي

الرافدين، بلاد الحثيين، فارس، القاهرة ١٩٦٣ ص ٢٨٧-٢٨٨.

ARAB II,Par.865,PP. 334, 866 (٢٢)

(٢٣) ARAB II,Par.866,PP.334-335، ديلابورت: بلاد ما بين النهرين، ص

١٨٩.

ANET,P.285 &ARAB II,Par.55,PP.26-27 (٢٤)

ANET,P.287 (٢٥)

ANET,PP.292-293 (٢٦)

(٢٧) ANET,PP.294-295، ميخائيل، مصر والشرق، ج٥، ص ٣٠٠-٣٠١.

الجدير ذكره، أن ثورة سنة ٦٦٩ ق.م قادها الملك المصري "طاهرقا" بعد أن عاد

إلى الدلتا بطلب من الأمراء المصريين الذين كان من بينهم حتى أولئك الذين

عينهم الآشوريون بعد نجاحهم في احتلال مصر، كما نشير إلى أن هذه الثورة قد

جرت في عهد الملك الآشوري "أسر حدون" الذي توفي في مدينة "حران" وهو في

طريقه لقمع الثورة، فاستكمل المشوار ابنه "أشور بانيبال" بإرسال الجيش إلى

مصر، أما هو فقد اضطر للعودة إلى نينوى بسبب وفاة والده ومراسيم تسولي

العرش، لكنه جهز حملة في عام ٦٦٦ ق.م لاستكمال القضاء على مظاهر

الثورة: عن ذلك انظر: المخلافي، عارف أحمد إسماعيل: دراسات في تاريخ الشرق القديم (٣) تاريخ وادي النيل، مصر والسودان، صنعاء، ط١، ٢٠٠٤. ص ١٧٣-١٧٤.

(٢٨) ANET, P.284, ARAB, I, 817, P.293.

(٢٩) AB I, 778, P.279.

(٣٠) II, 259, P.130.

(٣١) II, 940, 943, PP.364, 366, Musil, P.532, CAH III, PP.74-75, 405. والجدير

بالذكر أن الأميرة "تبوعة" التي أسرها "سنحاريب" صارت فيما بعد ملكة في عهد "أسرحدون" بعد أن تربت داخل البلاط الآشوري على حب الآشوريين، وبقيت موالية لهم إلى نهاية عهدها. انظر إسماعيل، عارف أحمد: دراسات في تاريخ الشرق القديم (١)، العلاقات بين العراق وشبه الجزيرة العربية، منذ منتصف الألف الثالث قبل الميلاد حتى منتصف الألف الأول قبل الميلاد. صنعاء ١٩٨٨.

ص ١٤٠-١٤١.

(٣٢) PP.291-292.

(٣٣) B II, Par.518a, P.207, ANET, P.292 وكذلك:

Irvine.K.A, "The Arabs And Ethiopians", In, Wiseman.D.J, Peoples Of Old Testament Times. Oxford, 1975. PP.287-311 (POTT

الكتاب بعد ذلك بالاختصار).

(٣٤) II, Par.828, P.318.

(٣٥) II, Par.869, P.827, ANET, PP.299-300.

(٣٦) II, Par.880. P.342.

(٣٧) II, Par.819, P.314.

- (٣٨). P.298.
- (٣٩). II,Par.833,P.320.
- (٤٠). II,Par.1084,P.400.
- (٤١). II,Par.831,P.311. ، كذلك انظر تفاصيل هذا الموضوع في -ANET,PP.298
- 301 . والجدير بالذكر أن "أبيطع" المذكور أعلاه، هو الشخص الذي عينه الآشوريون بدلاً عن "يطع" بعد ثورته ضدهم -ARAB II,Par.870,PP.838
- 839 ، ولكنه عاد للتحالف مع "عدية" بعد نكث الملك الآشوري بعهدة.
- (٤٢) د، سامي سعيد، رضا جواد الهاشمي: تاريخ الشرق الأدنى القديم - إيران والأناضول، بغداد (د.ت) ص ٢٩٠.
- (٤٣) أ.د: الحِيثِيُون، ترجمة: محمد عبد القادر محمد، ومراجعة: فيصل الوائلي، القاهرة، طبعة ١٩٩٧-١٨٤ ص
- (٤٤) الحِيثِيُون، ص ٨٩-٩٠.
- (٤٥) ف، ف.س. كوفاليف: الحضارات القديمة، ج ١، ترجمة: نسيم اليازحي، دمشق، ط ١، ٢٠٠٠ ص ١٥٨.
- (٤٦) الأحمد: تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص ٢٩٠.
- (٤٧) انظر الحاشية رقم (٢).
- (٤٨) دياكوف: الحضارات القديمة، ج ١، ص ١٩٠.
- (٤٩) الأحمد: تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص ٣٣٨.
- (٥٠). Saggs.H.W.F, "The Assyrians", In, Wiseman.D.J, POTT, 1974, P.162.
- (٥١) حتي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص ١٨٥.
- (٥٢) رو، جورج: العراق القديم، ترجمة وتعليق: حسين علوان حسين، مراجعة: فاضل عبد الواحد علي، بغداد ١٩٨٥ ص ٤٠٧.

- (٥٣) رو: العراق القديم، ص ٤١٢.
- (٥٤) Zimansky.P.E, In,CANE,P.1141.
- (٥٥) حتي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص ١٨٥.
- (٥٦) حتي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص ١٨٥-١٨٦.
- (٥٧) انظر الحاشية رقم ١٦.
- (٥٨) انظر: المخلافي، عارف أحمد إسماعيل: دراسات في تاريخ الشرق القديم (٢) العراق وبلاد الشام، صنعاء، ط١، ٢٠٠٢. ص ١٣٣-١٣٩، هبو، أحمد أرحيم: تاريخ الشرق القديم (٢) بلاد ما بين النهرين (العراق)، صنعاء، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م. ص ٢٣٧-٢٤٦.
- (٥٩) عصفور، محمد أبو المحاسن: المدن الفينيقية، بيروت ١٩٨١. ص ١٠٩-١١٢.
- (٦٠) دياكوف: الحضارات القديمة، ج١، ص ١٨٦.
- (٦١) Ghirshman.R, Iran, London,1954.P.63.
- (٦٢) المخلافي، عارف أحمد إسماعيل: دراسات في تاريخ الشرق القديم (٣) تاريخ وادي النيل-مصر والسودان، صنعاء، ط١، ٢٠٠٤. ص ١٦٦-١٦٧.
- (٦٣) حتي، فليبي، ادورد جورجي، جبرائيل جبور: تاريخ العرب، بيروت، ط١١، ٢٠٠٢. ص ٥٥.
- (٦٤) لمعرفة مثل هذه المواقف، انظر، المخلافي: تاريخ وادي النيل، ص ١٦٩-١٧٣.
- (٦٥) هوسون، جونيفيف، دومينيك فالبييل: الدولة والمؤسسات في مصر- من الفراعنة الأوائل إلى الأباطرة الرومان، ترجمة: فؤاد الهان، القاهرة، ط١، ١٩٨٤. ص ٢٠-٢١.

- (٦٦) أبو بكر، عبد المنعم: "النظم الاجتماعية"، في كتاب، تاريخ الحضارة المصرية- العصر الفرعوني، مج ١، ألفه نخبة من العلماء، القاهرة، (د.ت). ص ١١٦.
- (٦٧) انظر هذه الصورة في:
Pritchard, J, The Ancient Near East In Picture. Relation to Old Testament.
New Jersey, 1984. P.154, Plate. 447. وكذلك في ديلابورت: ص ٢٩٣.
- (٦٨) تقع "أدوماتو" في المملكة العربية السعودية، وتعرف اليوم (بالجوف)، وعُرفت في النصوص الآشورية بـ "أدوماتو"، وفي العهد القديم بـ "دومة"، واشتهرت بـ "دومة الجندل". مقدمة في آثار المملكة العربية السعودية، منشورات إدارة الآثار والمتاحف، الرياض ١٩٧٥. ص ٦٥.
- (٦٩) عن تفاصيل هذه الأحداث، راجع: المخلافي: العلاقات بين العراق وشبه الجزيرة العربية، ص ١٣٢-١٤٤، صالح: مصر والعراق، ص ٥٢١-٥٣٦.
- (٧٠) انظر: Musil, A, Arabia deserta, New York, 1927. P.481.
- (٧١) سالم، السيد عبد العزيز: تاريخ العرب القديم في عصر الجاهلية، بيروت ١٩٧٠. ص ٤١٤.
- (٧٢) ابن خلدون: مقدمة العلامة ابن خلدون، بيروت (د.ت). ص ١٢٨.
- (٧٣) سالم: تاريخ العرب القديم، ص ٤١٤.
- (٧٤) سالم: تاريخ العرب القديم، ص ٤١٥.
- (٧٥) ابن خلدون: المقدمة، ص ١٤٩.
- (٧٦) حسن، حسين الحاج: حضارة العرب في عصر الجاهلية، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م. ص ٨٥.
- (٧٧) ابن خلدون: المقدمة، ص ١٤١.

- (٧٨) انظر: المخلافي: العلاقات بين العراق وشبه الجزيرة العربية، ص ١٣١ - ١٥٠، ص ١٧٠.
- (٧٩) أمين، أحمد: فجر الإسلام، القاهرة، طبعة ١٩٩٦. ص ٢١.
- (٨٠) ابن خلدون: المقدمة، ص ١٣٨.
- (٨١) سالم: تاريخ العرب القديم، ص ٤٤٥.
- (٨٢) الألو سي البغدادي، السيد محمد شكري: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج ٢، عني بشرحه وتصحيحه وضبطه: محمد بهجة الأثري، بيروت (د.ت). ص ١٦٣.
- (٨٣) برو، توفيق: تاريخ العرب القديم، دمشق، ط ٢، ١٩٩٦. ص ٢٦٢.
- (٨٤) سالم: تاريخ العرب القديم، ص ٤٤٣.
- (٨٥) أمين: فجر الإسلام، ص ٢١.
- (٨٦) انظر: هيو: بلاد ما بين النهرين، ص ٢٤١-٢٤٢، رو: العراق القديم، ص ٤٤٤. ساكز، هاري: عظمة بابل - موجز حضارة بلاد وادي الرافدين القديم، ترجمة: عامر سليمان، الموصل، ط ١، ١٩٧٩. ص ١٥٧.
- (٨٧) المخلافي: العلاقات بين العراق وشبه الجزيرة العربية، ص ١٤٢.
- (٨٨) ابن خلدون: المقدمة، ص ١٢٨.
- (٨٩) ابن خلدون: المقدمة، ص ١٢٨.
- (٩٠) حسن: حضارة العرب في عصر الجاهلية، ص ٧٠.
- (٩١) أمين: فجر الإسلام، ص ٢١.
- (٩٢) برو: تاريخ العرب القديم، ص ٢٠٠.